[184] كل نهر ليس يطغى عبثاً إن أمر الله كان السببا * * * يأمر البحر فيغدو هائجا وله الطوفان طوعاً مائجا عالم الإيجاد من آثاره كل شيء لعلاه عارجا * * * أين تمضين دعيه فله خير ربّ يرتضيه لا هجا كل هذا من جهة!.. ولكن تعالوا لنرى مايجري في قصر فرعون؟! ورد في الأخبار أنّ فرعون كانت له بنت مريضة، ولم يكن له من الأبناء سواها، وكانت هذه البنت تعاني من آلام شديدة لم ينفعها علاج الأطباء، فلجأ إلى الكهنة فقالوا له: نتكهّنُ ونتوقع أن إنساناً يخرج من البحر يكون شفاؤها من لعاب فمه حين يدهن به جسدها، وكان فرعون وزوجه "آسية" في انتظار هذا "الحادث" وفي يوم من الأيّام.. فجأة لاح لعيونهما صندوق تتلاطمه أمواج النيل فلفت الأنظار، فأمر فرعون عمّاله أن يأتوا به ليعرفوا ما به؟! ومثل الصندوق "المجهول" الخفيّ أمام فرعون، ولم يتمكن أحد أن يفتحه. بلى كان على فرعون أن يفتحه لينجو موسى على يد فرعون نفسه، وفتح الصندوق على يده فعلا!. فلمّا وقعت عين آسية عليه سطع منه نور فأضاء قلبها، ودخل حبّه في قلوب الجميع، ولا سيما قلب امرأة فرعون "آسية".. وحين شفيت بنت فرعون من لعاب فمه زادت محبّته أكثر فأكثر(1). ولنعد الآن إلى القرآن الكريم لنسمع خلاصة القصّة من لسانه! يقول القرآن

_____ 1 ـ ورد هذا القسم من الرّواية عن ابن عباس في تفسير الفخر الرازي كما هناك روايات آخرها في تفسير "أبو الفتوح" و"مجمع البيان".